وحدة الوجود بين الحقيقة والشريعة

وحدة الوجود
بين الحقيقة والشريعة

الإسلام شريعة وعقيدة واضحة المعالم، سهلة الفهم، خالية من التعقيدات والأسرار. والإيمان اعتقاد فكري بالعلة والمعلول. والكون بمخلوقاته هو الدليل على وجود الله الخالق المبدع المصور. ولكن الولوج بالصفاء النفسي، والتربية الروحية قد يصل بالإنسان إلى حالات تفيض الأنوار في النفس عن حدودها، وتعيش سبحات من الخيال والطيف فوق إدراكها وحسها العادي، وهذا يعبرون عنه بالفناء وهو وجد يغيب بالمذكور عن الذكر، وبالمعروف عن المعرفة، وبالمعبود عن العبادة، أما الفناء الشرعي فمضمونه الفناء بعبادته عن عبادة من سواه، وبحبه عن حب ما سواه، وبخشيته عن خشية ما سواه، وبطاعته عن طاعة ما سواه، أما الفناء عن وجود السوى بحيث يرى وجود الخالق هو وجود المخلوق فهذا هو قول الملاحدة وهذا حسب قول ابن تيمية، وهناك فناء الشهود وهو أن لا تشعر الذات الفانية بوجودها مع أنها في حقيقة الأمر موجودة، أو موجودة بذات مغايرة للذات التي فنيت فيها.

أما فناء الوجود فهو الذي تفنى فيه الذات وجوداً في الذات الأخرى، بحيث لا يصير لها وجود في حقيقة الأمر مغايراً للذات الأخرى، وفي هذه الحالة من الوجد والكشف والإشراق تصدر عنه أقوال كثيرة وخوارق

للعادات، وهذه حالة من السكر النفسي والذهول العقلي، ولربما صدرت عنه الشطحات. وهنا لا بد من مناقشة هذا الموضوع بشيء من الأناه والتدبر، فعلينا أن نتثبت.

أولا: هل تُنسب هذه الأقوال إلى من نسبت له حقاً وصدقاً ؟

ثانياً: هل شرحت هذه الأقوال منه بمعنى مفهوم لا يناقض الشريعة أوْ لا ؟

ثالثاً: هل أدلى بأقوال أخرى تناقض هذه الأقوال، وتوضح الحقيقة، وفيها بيان لآرائه ومعتقداته بشكل كامل أو لا ؟

رابعاً: إذا صح هذا القول منه وثبت أنه من أقواله هل يمكن تأويله بشكل تقبله الشريعة واللغة والمنطق السليم، وذلك بمدارسة حالته وعلمه وورعه وتقواه ؟

خامساً: هل نستطيع معرفة حالته النفسية عند صدور هذا القول منه بشكل يعذر صاحبه، لأن الشخص الذي لا يعي ما يقول يعذر شرعاً ؟

وهنا لا بد لنا من الاستشهاد بقول ابن تيمية عن حالة السكر والفناء: إن بعض ذوي الأحوال قد يحصل له في حال الفناء القاصر سكر وغيبة عن السوى ـ والسكر وجد بلا تمييز ـ فقد يقول في تلك الحال: سبحاني! أو ما في الجبة إلا الله ـ أو نحو ذلك من الكلمات التي تُؤثَر عن أبي يزيد البسطامي أو غيره من الأصحاء؛ وكلمات السكران تطوى ولا تروى ولا تؤدى[1].

إن المنطق السليم هو الذي تكلم به ابن تيمية على الرغم من خصومته الشديدة للتصوف فإن الحق الذي توصل إليه، والمناقشة العقلية التي استنتج

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ج/١ ص/١٦٨.

منها حالات الفناء التي تؤدي بصاحبها إلى الشطح، فإنه لم يعلن كفر صاحب الشطح، وإنما قال كلمات هذا الرجل في حالة السكر الذي صار في حالة فناء روحي تطوى ولا تروى ولا تؤدى. وهذا الكلام مطابق لكلام الجنيد. وذلك في مناقشته لموضوع الحلاج: (فُتح عليَّ وعلى الحلاج فأمسكت ونطق). ولذا نستطيع القول بأن هذه الأحوال والمكاشفات يجب أن تبقى بحدود الزمان والمكان دون كتابة ونشر، لأنها قد خرجت من أعماق النفس وصاحبها في حال كشف أو فناء أو سكر. وهذه الحالة يعبر عنها الدكتور عثمان يحيى[1] بقوله: (وصاحب هذا المقام تذوب إرادته في إرادة الله؛ وتفنى رغائبه في رغائب الله، فلا يريد العبد إلا ما يريده الله، ولا يحب إلا ما يحبه الله) فإذا استطاع الذي وصل إلى هذا المقام التقيد بالشرع فهو مؤمن حقاً؛ أما إذا كان جاهلاً أو غير متقيد بالشريعة فيخرج منه أشياء لا يتمكن الناس من تفسيرها وإيضاحها فيقع الخلاف حوله وحول بيانه ورحم الله عبداً جبَّ المغيبة عن نفسه. وعلينا أن نعمل ليسعنا ما وسع الصحابة الكرام وكبار العارفين الواعين المتقيدين بالكتاب والسنة.

ويقول ابن تيمية: (ومن أقسام الفناء) الفناء عن شهود السوى، فهذا هو الذي يعرض للكثير من السالكين، كما يحكى عن أبي يزيد وأمثاله، وهو مقام الاصطلام، وهو أن يغيب بموجوده عن وجوده، وبمعبوده عن عبادته، وبمشهوده عن شهادته، وبمذكوره عن ذكره، فيفنى من لم يكن، ويبقى من لم يزل. وهذا كما يحكى أن رجلاً كان يحب آخر فألقى المحبوب نفسه في الماء فألقى المحب نفسه خلفه فقال: أنا وقعت فلم وقعت أنت (قال: غبت بك عني، فظننت أنك أني). فهذا حال من عجز عن شيء من المخلوقات إذا شهد قلبه وجود الخالق، وهو أمر يعرض لطائفة من

---

(١) طبقات المعتزلة ص/٧.

السالكين، ومن الناس من يجعل هذا من السلوك، ومنهم من يجعله غاية السلوك، حتى يجعلوا الغاية الفناء في توحيد الربوبية، فلا يفرقون بين المأمور والمحظور، والمحبوب والمكروه. وهذا غلط عظيم غلطوا فيه بشهود القدرة وأحكام الربوبية، عن شهود الشرع والأمر والنهي وعبادة الله وحده وطاعة رسوله.

فمن طلب رفع أنّيته بهذا الاعتبار لم يكن محموداً على هذا، ولكن قد يكون معذوراً[1] ومن أروع من بحث في هذا الموضوع الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر فقال: وحدة الوجود تختلف عن وحدة الموجود.

فالموجود متعدد: سماء وأرض وجبال وبحار وأشجار وأناس. وكيف صار هذا العرف الخاطىء بان الصوفيين يعتقدون بوحدة الموجود. وهذا قول هيراقليطس في العهد اليوناني في وحدة الموجود. وكذلك في آراء بعض الفلاسفة المعاصرين، مثل (شلي) الذي يرى الله هو تلك البسمة الجميلة على شفتي طفل جميل باسم، وهو هذه النسائم العليلة التي تنعشنا ساعة الأصيل، وهو هذه الإشراقة المتألقة بالنجم الهادىء في ظلمات الليل، وهو هذه الوردة اليانعة تتفتح وكأنها ابتسامات شفاه جميلة. إنه الجمال أينما وجد ولوحدة الوجود ـ يعني وحدة الموجود ـ أنصار في كل زمان.

ولما قال الصوفية: «بالوجود الواحد» شرح خصومهم الوجود الواحد بالفكرة الفلسفية، عن وحدة الوجود؛ بمعنى وحدة الموجود، وفرق كبير بينهما، ولكن الخصومة كثيراً ما تبارك التزييف وترضى الكذب في سبيل الوصول إلى هدم الخصم، والغاية تبرر الوسيلة عندهم.

---

(١) مدارج السالكين ١/ ٨٠ والرسائل والمسائل ١/ ٨٢.

الوجود الواحد:

وهل في الوجود الواحد من شك ؟ إنه وجود الله المستغني بذاته عن غيره وهو الوجود الحق، الذي أعطى ومنح لكل كائن وليس لكائن غيره سبحانه الوجود من نفسه، إنه سبحانه الخالق وهو البارىء، وهو المصور وهو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء، وإن الله سبحانه وتعالى محيط بالكون، مهيمن عليه، قيوم السموات والأرض قائم على كل نفس بما كسبت، وقائم على كل ذرة من كل خلية، وقائم على كل ما هو أصغر من ذلك، وما هو أكبر، بحيث لا يعزب عن هيمنته وعن قيوميته مثقال ذرة في الأرض، ولا في السماء.

هذه القيومية أخذ القرآن والسنة يتحدثان عنها في استفاضة ليهز الإنسان هزة عنيفة، تجعله لا يخلد إلى الأرض، ولا يتبع هواه وإنما يرتفع ببصره ويستشرف بكيانه إلى الملأ الأعلى، مستخلصاً نفسه من العبودية المادية ليوحد الله سبحانه وتعالى في عبودية خالصة له.

وإذا ما سمعنا قول الله تعالى:

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾[1].

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾[2].

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾[3].

---

(١) سورة الواقعة: ٥٨ـ٥٩.

(٢) سورة الواقعة: ٦٣ـ٦٤.

(٣) سورة الواقعة: ٦٨ـ٦٩.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾[1].

وإذا نظرت في كثير من آيات الله وجدتها تظهر عظمة الله في كل ما حولنا ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[2].

وقال أيضاً ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝٣٠ وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١ مَّتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ﴾[3].

وهذه الهيمنة، وهذه القيومية يمر بها قوم فلا يعيرونها التفاتاً، إنهم يمرون بها مروراً بلا وعي ولا إدراك. لأن الله لا يحتل من شعورهم أية درجة من الاهتمام، وهمهم الأول كنز الذهب والفضة وملء بطونهم أو النزاع على الجاه.

والطرف الآخر هم الذين سبحوا في بحار المعرفة الإلهية واستنشقوا نسائمها الندية، وغمرهم لألاؤها وضياؤها، لقد بدؤوا بحمد الله وشكره على نعمائه، وآلائه التي تحيط بهم من جميع أقطارهم فزادهم الله نعماً وآلاء.

وحطموا جميع أنواع الشرك، وعرفوا (أشهد أن لا إله إلا الله) معرفة كاملة، وانهار الشرك الخفي من أعماق نفوسهم، فكانوا في مقام الإحسان وأيقنوا بأنه ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[4] وأينما كانوا فالله معهم. وهو أقرب إليهم من حبل الوريد، وهو معكم أينما كنتم. إن هؤلاء السالكين درب الإيمان هم العارفون بالله الربانيون، فأصبح الله في بصرهم وسمعهم

---

(١) سورة الواقعة: ٧١ـ٧٢.
(٢) سورة الأنفال: ١٧.
(٣) سورة عبس: ٢٤ـ٣٢.
(٤) سورة البقرة: ١١٥.

وجوارحهم وفي قلبهم، وتحققت فيهم صفات المؤمنين. وهذا ما جاء في حديث الرسول ﷺ الذي رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمش بها، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه»[1].

وقال والعبد العارف بالله تتحد إرادته بإرادة الله بحيث لا يريد إلا ما يريد الله أمراً به ورضى ولا يحب إلا ما يحب الله ولا يبغض إلا ما يبغضه الله، والكلام في مقامات العارفين طويل.

فعبر هؤلاء الربانيون في هذا الميدان عن الوجود الواحد الذي يتصرف به الله عز وجل، ولا يصلون إلى هذا الوجود الواحد الذي عبر عنه القرآن، وهو الأول والآخر والظاهر والباطن. هذه الآيات المتناثرة في كتاب الله هي التي تزيد الشعور بالله تعالى هيمنة وقيومية وحباً وشوقاً. فهم إذن الذين استطاعوا أن يذكروا الناس دائماً بالله تعالى ويتشوفوا لمعرفة الله والمحبة له والتعظيم والتقديس له.

والشعراني يحاكم الأقوال التي تنسب إلى العلماء الربانيين محاكمة علمية فيقول: ولعمري إن عباد الأوثان لم يجرؤوا على أن يجعلوا آلهتهم عين الله، بل قالوا: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، فكيف يظن بأولياء الله أن

---

(١) الفتاوي (الوارد وأثره على الروح والوجد والسكر) ص/ ٧٥.

يدعوا الاتحاد بالحق سبحانه ؟ هذا محال في حقهم رضوان الله عليهم، فهل يمكن القول بوحدة الوجود وهو الجمع بين أزليين أبديين ؟ وهذا كفر واضح.

فوحدة الوجود القرآنية هي أن تشهد ذات الله في وصفه، ووصفه في فعله، وأنت ملاحظ في ذلك غاية التنزيه والتسامي عن مخلوقاته.

والحلول هو تداخل جرم في حيز لجرم آخر[1] وهذا كحلول أشعة الشمس في الأرض، فهل من المسلمين من يدعي هذا القول. وبعض شواذ المتصوفة الإسلاميين المتأخرين قالوا بالحلول أو الاتحاد، ولكن هذا لم يأخذه عن التصوف الإسلامي الحق، وإنما استعاره بعد عصور الترجمة من المتكلمين والفلاسفة الإسلاميين الذين نقلوا إليهم فلسفة اليونان والأفلاطونية الحديثة، فوحدة الوجود المقبولة شرعاً هي الشعور بوحدة الكائنات كآيات إلهية تدل على وحدة الخالق، والذي مارس السلوك حتى توصل إلى حالة الفناء هو الذي أيقن أن هذا الكون واحد في وجوده يدل على عظمة الله وقدرته؛ وقد فني بالموجد وذهل عن الموجود، فلم يرَ في هذا الكون إلا الله هو الفعال لما يريد، وهو الخالق المبدع، وهو المحيي والمميت، وهو المعطي والمانع وهو القاهر فوق هذا الموجود فكأنه لا يرى الموجود وإنما يرى الموجد، وهذا الفناء يدل على وحدة الوجود وهو ذروة التوحيد، وما قيل من فناء الموجد في موجوداته فهو حالة من الضياع لا يقبل عقلاً ولا يرضاه الشرع الحنيف.

وكل هذه الأقوال والشطحات التي عبر عنها السالكون في حالة الفناء لا يعتد بها شرعاً، وهم معذورون، كما قال ابن تيمية، لأنهم في حالة

---

(١) المدخل إلى التصوف ص/ ١١٢.

اللاوعي والذهول والكشف والسكر. ولا نكفرهم ولا نؤيدهم، وإنما نتوقف عن نشر عباراتهم التي تخالف الشرع. وننصح بترك هذه الأقوال المخالفة لظاهر الشريعة، ونعذرهم لأنهم لم يصلوا إلى مقام البقاء بعد الفناء، والصحو بعد السكر، فالكمل من السالكين لم تقيد عليهم هذه العبارات وإنما ركّزوا على الاتباع الكامل للكتاب والسنة. وهذا وضحناه في بحوث كثيرة سابقة، ولا يسعني إلا أن أكرر قول عمر رضي الله عنه (لئن أدخل مائة ألف في الإسلام بشبهة خير من أن أخرج واحداً بشبهة) والتكفير عمل كبير، وخطأ جسيم لا يتجرأ عليه إلا مكابر وخاصة مع هؤلاء السالكين.

والحق عند الشيخ محيي الدين بن العربي معنيان/ الأول الحق في ذاته وهو حقيقة مطلقة لا نعرفها ولا نتصل بها بوجه من الوجوه.

والحق الثاني كما يبدو لنا في تجلياته في الوجود: وهو بهذا المعنى مرادف للخلق، ولذلك كان للحقيقة وجهان: حق وخلق. وهي الواحد والكثير، والقديم والحادث والظاهر والباطن والأول والآخر، وغير ذلك من الأضداد. فالحق من حيث ذاته هو الله المنزه في وحدته الذاتية. والحق مشبه في تجلياته الظاهرة في مخلوقاته.

قال ابن عربي في كتاب المسائل: (وأنى للممكن أن يجتمع مع الواجب بالذات في حكم أبداً) وهذا رد على قول ابن تيمية بأن الشيخ محي الدين قال: (بأن وجود المحدث هو عين وجود القديم).

* * *

الدكتور أبو العلا العفيفي

الدكتور أبو العلا العفيفي

أستاذ الفلسفة بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية

التصوف عنده هو العمق الروحي للإسلام، ويستشهد بالقول التالي: الفقهاء يعبرون عن الصلاة: هي أفعال وأقوال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم، والصوفيون يعرفون الصلاة: (هي مناجاة قلبية بين العبد والرب). فأيهما أصدق في تعبيره والقرآن يؤكد المعنى الروحي للصلاة بقوله: (وأقم الصلاة لذكري). فالذكر والمناجاة هما الغاية من الصلاة وهو الأمر الذي يجب التركيز عليه ليتحقق عند كل مصلٍ. والتصوف عنده (حال أو تجربة روحية خاصة يعانيها الصوفي وركّز على تعريف التصوف بمعانٍ كثيرة اختار منها:

(الصوفي لا يَمْلِكُ ولا يُمْلَكُ)

(التصوف ترك كل حظ للنفس)

التصوف هو الفناء عن النفس جملة: عن صفاتها ورغباتها وشهواتها والمراد بالنفس هنا النفس الحيوانية؛ وإذا فني الصوفي عن نفسه بهذا المعنى ـ بقي بحبه لربه[1].

---

(١) التصوف الثورة الروحية في الإسلام. ص/ ٤٣.

ويقيم التصوف بأنه هو استبطان منظم للتجربة الدينية ولنتائج هذه التجربة في نفس الرجل الذي يمارسها[1].

ويرى الدكتور أبو العلا العفيفي أن التصوف هو المظهر الروحي الديني الحقيقي عند المسلمين، لأنه المرآة التي تنعكس على صفحتها الحياة الروحية الإسلامية في أخص مظاهرها. فإذا أردنا أن نبحث عن العاطفة الدينية الإسلامية في صفائها ونقائها وعنفها وحرارتها، وجدناها عند الصوفية. ويركّز على الناحية الروحية الإسلامية فيقول: لولا التصوف لكان الإسلام كما فهمه المتزمتون من الفقهاء والمتكلمين والفلاسفة ديناً خالياً من الروحانية العميقة، ومن العاطفة، وكانت عباداته ومعاملاته مجموعة جامدة من القواعد والأشكال والأوضاع، ومعتقداته مجموعة من التجريدات أقل ما يقال إنها تباعد بين العبد وربه بدلاً من أن تقربه إليه، وتورث صاحبها الشك والحيرة والقلق بدلاً من الطمأنينة واليقين. ونجده في كثير من بحوثه يظهر التصوف ثورة غيرت كل المفاهيم القديمة الجامدة فهو ثورة شاملة وهو ثورة واحدة متصلة، لأن أصولها واحدة وهي التربية الروحية في القرآن والسنة.

ومن أروع ما أظهره من أسس التربية الصوفية المجاهدة وتطهير النفس والكشف والإشراق، والمجاهدة هي الجانب العملي في الحياة الصوفية، أو هي الجانب الديني والأخلاقي فيهما، والتصوف في جوهره نظام ديني وأخلاقي يأخذ به السالك نفسه في صرامة وعزم وتصميم، ولا يقوى عليه إلا أولو العزم، لأنه موجه ضد النفس ورغباتها والعالم ومباهجه. هو نظام محوره التضحية بالذات، وإيثار كل ما لله على كل ما للنفس، ومن هنا كان

---

(١) التصوف الثورة الروحية في الإسلام ص/ ٥٥.

النظام الأخلاقي الصوفي نظاماً فريداً في بابه مختلفاً عن غيره من النظم الأخلاقية الأخرى.

والفيلسوف الصوفي الرائد في هذا العصر يفصل بين الفناء ووحدة الوجود فيقول: (الفناء الصوفي هو الحال التي تتوارى فيها آثار الإرادة والشخصية والشعور بالذات وكل ما سوى الحق، فيصبح الصوفي وهو لا يرى في الوجود غير الحق، ولا يشعر بشيء في الوجود سوى الحق وفعله وإرادته)[1].

إنه يرى أن التصوف روح الإسلام، والمحرك الحقيقي للإيمان، ويتجلى في تحقيقه لفصوص الحكم لابن العربي وفي كتابه (التصوف الثورة الروحية في الإسلام) وهذا الكتاب الرائع هو الموسوعة الصوفية الحديثة في أروع مناقشة وأحدث فكر، محاط بالأصول الشرعية ويعتمد في تحليله على الكتاب والسنة في وجهات النظر التربوية الروحية التي سميت بالتصوف.

* * *

(١) التصوف الثورة الروحية في الإسلام ص/١٦٧.

محمود أبو الفيض المنوفي
والتصوّف

محمود أبو الفيض المنوفي والتصوف

ـ الشيخ محمود أبو الفيض المنوفي هو مؤسس طريقة الفيض الشاذلية في مصر، وأسس الكلية الصوفية في القاهرة، ولد عام ١٨٩٢ بمدينة منوف، ونشأ في بيت علم، وكان والده من كبار علماء الأزهر.

وأصدر أول مجلة إسلامية في ذلك العهد وهي مجلة لواء الإسلام عام ١٩٢٢ ثم تخلى عنها للأستاذ أحمد حمزة، وأسس مجلة العالم الإسلامي بعدها، وأخذ العهد من أحد كبار شيوخ الشاذلية وهو الشيخ مجد العقاد وسلك على يد أعلام أخذوا بيده إلى ميدان الدين والفلسفة والتصوف وألف عدة كتب منها:

١ـ كتاب الوجود.

٢ـ كتاب وحدة الدين والفلسفة والعلم.

٣ـ المدخل إلى التصوف الإسلامي.

٤ـ المعرفة العظمى.

٥ـ معالم الطريق إلى الله.

ومن أقواله في التصوف:

قال: (إن علم التصوف علم ذوق ووجدان وتحقيق وعرفان لا يفهمه من جهله ولا يعرفه إلا من تذوقه).

ويقول في كتابه (مدخل إلى التصوف) التصوف: نزوع فطري في الإنسان إلى التسامي والتكمل والمعرفة عن طريق الكشف الروحي، أو العلم اليقيني الناشئين عن الإلهام الإلهي والنظر العقلي والرياضة النفسية وبعض الدلائل الحسية.

والتصوف عنده (عرفان يطابق اليقين، وعبودية لله تؤدي إلى تمكين وحب لله تمازجه خشية، وأمل تخالطه هيبة، واستمرار لآخر العمر في طلب المعرفة، والوقوف في سائر تقلبات الدهر مع صريح المشيئة، والدأب على ابتغاء الصفاء ونفي الكدر، ثم دوام الفكرة، ومجانبة الفترة، وتحقيق اليقين، مع حسن العبودية لتمكين المحبة، وفناء في شهود الحق، وإعراض عن باطل الخلق، والتحقيق بعين اليقين والتسليم بظاهر الدين)[1].

وأوضح الفرق بين الصوفي والفقيه أو العابد (إن الفقيه استمد علمه من أقوال الرسول ﷺ وسنته، ومن الكتاب الذي أنزل إليه من ربه. والعابد قلد الرسول ﷺ في أعماله، والصوفي اقتدى برسول الله ﷺ في أقواله وأعماله وأحواله، فهو عالم بالله وبشرعه من جهة، عالم بمقتضيات ذلك الشرع من جهة أخرى، ثم زاد على العالم والعابد والزاهد بالتخلق بإخلاصه لله تعالى وحبه وعرفانه والتقرب إليه)[2].

وعلى هذا قال: يكون التصوف روح الدين، فمن ادعى التصوف دون علم وعمل فهو مخدوع مغبون.

وإن مستمد التصوف من السنة ومن قول الرسول حين سئل عن الإحسان فقال: (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) وهذا

---

(١) المدخل إلى التصوف ص/٩.
(٢) المدخل إلى التصوف ص/٢٣.

مقام المشاهدة وهو آخر مقامات التصوف.

ويؤكد في قوله أهمية التصوف إذ يقول: (نسبة التصوف من الدين نسبة الروح من الجسد لأنه مقام الإحسان الذي فسره رسول الله ﷺ لجبريل، وفائدته تهذيب القلوب ومعرفة علام الغيوب، وثمرته سخاوة النفوس، وسلامة الصدور وحسن الخلق مع كل مخلوق).

فالتصوف هو روح الملة الإسلامية وجوهرها ولبه التقوى. وهو الوسيلة للانتقال من النفس الأمارة إلى النفس اللوامة ثم إلى النفس المطمئنة مع صفاء الروح، وجلاء الغشاوة عن القلب.

* * *

التصوف عند الشيخ عبد الحليم محمود
شيخ الجامع الأزهر

التصوف عند الشيخ عبد الحليم محمود
شيخ الجامع الأزهر

إن الدكتور الشيخ عبد الحليم محمود ظاهرة صوفية غير متكررة، بما يفيض من القيم، وما يفاض عليه من المواهب، وهو الصوفي العصري الذي كتب عن التصوف والمتصوفة بحدود الشريعة، وأيد السالكين ما داموا يتقيدون بالشريعة للوصول إلى الحقيقة التي تتمثل في العبودية الخالصة لله وحده، ويؤكد قول سهل التستري الذي يعبر عن أصول التصوف قائلاً: «أصول طريقتنا سبعة: التمسك بالكتاب، والاقتداء بالسنة، وأكل الحلال وكف الأذى، وتجنب المعاصي، ولزوم التوبة، وأداء الحقوق»[1].

وإن رأيه الذي توصل إليه بعد مدارسه طويلة أن تجارب الصالحين، منذ عصور متطاولة دلت على أن تزكية النفس، وتطهيرها والالتجاء إلى الله، والتقرب إليه كل ذلك يسمو بالإنسان إلى عالم من الروحانية تستشرف فيه النفس إلى الملأ الأعلى، فيفيض عليها منه نفحات، وإلهامات، ومعرفة لا تتأتى لذوي النفوس المادية، الذين شغلوا بالدنيا عن الدين، وبالمادة عن الله، وبظاهر الشريعة عن حقيقتها ويقول: (وتزكية النفس طريق صعب

---

(١) المفقد من الضلال ص/ ٢٧٠.

المرتقى، وتركيز الانتباه في الله وهو المقصود بالذكر، وهو وعر المسلك، ولذلك كان طريق التصوف طريقاً خاصاً لا يمكن سلوكه إلا لطائفة قليلة من الناس)[1].

وقد عمل الشيخ عبد الحليم محمود على إرساء الطرق التربوية الروحية عملياً مع مجموعة من العلماء المتخرجين من الأزهر. كما دأب على إخراج التراث الصوفي في حلية جديدة مع تحقيق رائد، ومحاكمة منطقية، ودارسة إسلامية صحيحة بعيدة عن الزيغ والبدع والانحرافات. وقد كتب عن أساطين علماء التربية الروحية في الإسلام، ودافع عنهم وأظهر آثارهم بإخلاص السالكين وإيمان المتقين الملتزمين بالكتاب والسنة. ولا يمكن لنا حصر إنتاجه الكبير في المدارسات الكبيرة التي طرحها في الصحف والمجلات والكتب لإخراج وسائل التربية الروحية الرفيعة عن المداخلات المنحرفة في هذا التراث الإسلامي العظيم.

* * *

(١) المنقذ من الضلال ص/ ٣٧٧.

التربية الروحية عند المربي الشيخ

الدكتور أحمد كفتارو

التربية الروحية عند المربي الشيخ
الدكتور أحمد كفتارو

أسس الشيخ أحمد كفتارو مدرسة علمية روحية مليئة بالمعاني السامية؛ وعاش حياة روحية تربوية من نوع خاص. ثم دأب جاهداً في تكوين مدرسة روحية فكرية قرآنية متكاملة. مركّزاً على الأصول والمرتكزات الأساسية في دعوته طوال خمسين سنة من الدعوة المستمرة فكانت أسسها ما يلي:

١ـ القرآن الكريم:

كان القرآن المنهج الأول في مدرسته الفكرية والروحية الذي اعتمد عليه للوصول إلى تكوين شخصية المسلم تكويناً متكاملاً. أقام المحاضرات المتعددة في تفسير كتاب الله عز وجل فكانت موئلاً للدارسين، والباحثين والدعاة والعلماء العاملين كل ذلك بواقعية رائدة، وعمق الفهم، والفكر المتطلع لآفاق العلم الحديث، والبحث الجاد، والعلم الشامل، والروح المتفائلة، ففسَّر القرآن الكريم ثلاث مرات تفسيراً عصرياً يتعايش مع النور الذي يشع من الآيات القرآنية العظيمة.

تفسيره كان جامعاً للمعاني المطروحة مع مقارنة علمية جديدة؛ وتحليل عقائدي لغوي على ساحة الواقع، لينتقل من الفكرة إلى الواقع، ومن المثالية النظرية إلى التطبيق العملي، فاستطاع أن يخاطب المسلمين بواقعية تجسد

معاني القرآن الكريم في المجتمع الإسلامي المعاصر لتتعايش معه سلوكاً ودعوة والتزاماً؛ وكل ذلك تم بأسلوب رائع يفهمه المتعلم ولا يستغني عنه العالم العارف.

٢ـ السنة والأحاديث النبوية:

(كانت السنة هي المصدر الثاني) في مرتكزات دعوته لإقامة الحياة الإسلامية في مدرسته الروحية والفكرية، فهي الموضحة لمعاني القرآن، والشارحة للمشكل فيه والمخصصة لعمومه، والمبينة لمجمله، فالأحاديث الصحيحة هي المورد الثاني بعد كتاب الله في معرفة الحقائق الإسلامية، التي تجسد المعاني النبوية في تكوين القدوة والأسوة الحسنة ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1].

فالسنة والأحاديث هي النبراس المضيء في مدرسته الروحية الفكرية القرآنية والمنهج الهام بعد القرآن في تكوين الدعاة والعلماء في معاهده وكلياته العلمية.

٣ـ الفقه الإسلامي:

جعله الدليل لمعرفة الشريعة بأحكامها فكانت مدارسة الفقه شمولية وليست ضيقة المنطلق، فلم يركّز على مذهب محدد، على رغم كونه شافعي المذهب وحصل على أعلى درجات الإفتاء في سوريا، فصار الرئيس لمجلس الإفتاء الأعلى، ولا يصل إلى هذا المنصب الديني الكبير إلا بالانتخاب المباشر من العلماء.

---

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

فأكد أصول المذاهب، وطرق اشتقاقها واستنباطها من الكتاب والسنة فحيثما قوي الدليل فهو القول الذي يفتي به. فكان متفتح الذهن، متوقد القريحة، دون تزمت أو تعصب أو تعنت لمذهب معين؛ فدعا إلى فقه القرآن وفقه السنة الشاملة لجميع أقوال المجتهدين دون تعصب لمذهب دون آخر فحيثما جاء الدليل فهو مذهبه، وحيثما كانت المصلحة في حق المستفتي كان رأيه وفتواه، دون خلل في الأصول العامة للشريعة المطهرة.

٤ـ التربية الروحية:

التربية الروحية في مدرسته هي المرتكز الأساسي لتمثل العقيدة، والقوة المساعدة لنقل الفكرة المجردة والعقيدة إلى حيز التطبيق والالتزام والسلوك المباشر. فالفقه الروحي المستنبط من الكتاب والسنة هو المنطلق، في مدرسته الروحية القرآنية الفكرية. فجمعت مدرسته آيات الذكر وأهميتها، وآيات القلب وإمكانية الحصول على القلب السليم، والنفس المطمئنة وطرق المجاهدة فركّز على أهمية التربية الروحية المتقيدة بالكتاب والسنة، وطالب وكرر بإلغاء كلمة التصوف والمصطلحات الصوفية، والعودة إلى مصطلحات القرآن الواضحة. فتزكية النفس، وذكر الله، والقلب السليم، والإحسان والمراقبة، والإخلاص، محبة الله ورسوله، والحب في الله، والزهد والتوكل والتوبة والإنابة كل ذلك واضح بين في الكتاب والسنة، فَلِمَ الاختلاف على المصطلحات، والحقيقة واضحة لا مراء فيها.

فالتربية الروحية واجبة للوصول إلى حقائق الإسلام الكلية. وقال: (إن بعض أهل التصوف قعدوا على الأحوال، ولم يتجاوزوها إلى الشريعة فكانوا سبباً في ضياع المسلمين لفترة طويلة من الزمان).

وقال: (نريد التصوف الخلقي وهو فريضة على كل مسلم، وأما

التصوف التحققي، وهو البلوغ إلى مرحلة الحقيقة المطلقة التي تتجلى في مقام الإحسان، فهذا ليس حتماً على كل مسلم بل هو في حق العلماء والدعاة واجب التحقيق ليدركوا حقيقة العبودية، ورفعة الألوهية ليؤثروا بمن يسمع وفاقد الشيء لا يعطيه).

ولا ننسى تأكيده المستمر لدراسة واقع التصوف والتعايش مع المعاني الصوفية المتفقة مع الكتاب والسنة وترك المعاني المخالفة لهذه الأصول الثابتة. ورأى التصوف أو التربية الروحية القرآنية وسيلة لا غاية، فهو وسيلة تربوية تساعد المسلم في تزكية النفس وتطهير القلب، وقوة الإرادة، ثم ينتقل منها إلى الدعوة الإسلامية، والعمل على إقامة الإسلام الحضاري في المجتمع الذي نتعايش معه؛ وبذا استطاع أن يحدد المنهج التربوي الروحي في مرحلة تكوين الشخصية الإسلامية. فإذا نضج فكره، وسمت روحه، وتسامت نفسه، وطهر قلبه، ووصل إلى مقام الإحسان. بدأ العمل لإرساء قواعد الشريعة سلوكاً وعملاً. فالتربية الروحية القرآنية وسيلة معينة لتمثل القرآن والسنة في أعماق النفس.

لقد قسم سماحته التصوف إلى قسمين:

التصوف القرآني

التصوف الرهباني

(فالتصوف القرآني) هو التصوف المعتدل مع أغراض الشريعة وتكاملها بحكمة التنزيل للوصول إلى إسلام الحياة بكل جوانبها المادية والروحية والمعنوية.

(والتصوف الرهباني) وهو الذي أسهم في إضعاف كيان العالم الإسلامي الفكري والاجتماعي، حيث اقتصرت المعاني الروحية على الذات وعاش

المسلمون آنذاك في الزوايا والتكايا دون انطلاق إلى مرحلة تكوين المجتمع الإسلامي.

ولا ننسى في هذه العجالة أن نبحث في المرتكز الصوفي عنده على رغم كونه شيخ النقشبندية، فلقد جعل التصوف وسيلة لتزكية النفوس، ومنطلقاً للدعوة إلى الله تعالى فانطلق بدعوة تجددية لاستنهاض الهمم، وبعث الشخصية الإسلامية الملتزمة بروح إيجابية تتعايش مع الواقع، وتدعو باتزان إلى نهضة الأمة متعاوناً مع السلطة الحاكمة في بلده، مؤازراً لها لخوض معركة الحياة ليعيش الناس حياة حضارية مادية وروحية متوازنة.

فدعوته إيجابية المنطلق والأسلوب، إنسانية الهدف، شمولية في عطائها، واقعية في تحليلها لكل الأحداث التي تمر بها أمته. يميل إلى التعاون المستمر مع كل فئات الشعب والحكومة دون عداء أو استعداء.

وبذا كان من أكبر علماء عصره في دعوته للإصلاح، ونستطيع القول بأنه من أعلام الإصلاح والنهضة في هذا القرن، ونلخص دعوته المرتكزة على صوفية قرآنية نبوية تجددية فيما يلي:

١ـ ركَّز في ندواته العلمية التي تعتمد على القرآن والسنة الصحيحة منطلقاً على فقه الحياة، وأهمية الحضارة، موضحاً ذلك في تفسيره لسورة البقرة، ولسورة الأنعام ولسورة الحديد وللعديد من السور والآيات، وربطها ربطاً وثيقاً بأهمية الزراعة والصناعة وإقامة السدود، وتمكين الأمة من النهضة الحديثة لتتبوأ مقعدها المتقدم بين الأمم والشعوب. سجل ذلك بعرض إسلامي واقعي متكامل.

٢ـ كانت دعوته شمولية الحوار لكل إنسان معتمداً فيها على فلسفة إنسانية بنظرة صوفية يشع في جوانبها الحب الإلهي، والرحمة المهداة، والنفع العام وذلك بقوله مردداً حديث رسول الله ﷺ: «الخلق كلهم عيال الله

وأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله» وجعل هذا الحديث دستور عمل له، انطلق منه إلى حوار مستمر مع كل المفكرين والعلماء ورجال الدين والسياسيين ورجال الأعمال، ليصل إلى إقناعهم بأن الإسلام دين حياة، ومنهج متكامل للتقدم، وفكر متألق يجمع ولا يفرق، يوحد ولا يمزق. فأثر فيمن حوله بفكره المتألق، وإخلاصه العارم، ودأبه المستمر وأجرى لقاءات مع كبار رجال الكنيسة في العالم، وحاضر في أكبر منتديات الكنسية وكلياتها اللاهوتية ليعرض لهم جمال الإسلام، وعظمة القرآن، وإمكانية التعاون لخدمة البشرية، ونزع فتيل الحقد والبغضاء بين الشعوب والأمم.

وقد اعترف العديد من رجال اللاهوت الذين استمعوا إلى ندواته أنهم بدأوا يغيرون نظرتهم نحو الإسلام الذي يسمعونه منه، والذي كان حاجزاً وهمياً لمدة طويلة بين الغرب والإسلام وأكد بعضهم بعرض جميل لكل ما سمع عن الإسلام المعتدل الذي يحب المسيحية ويؤمن بنبيها السيد المسيح ويكرم أمه العذراء البتول رضي الله عنها.

وأوضح وبكل صراحة أن الذي يؤمن بالإسلام يزداد تعظيماً وحباً وإيماناً للسيد المسيح لأن الإيمان به واجب شرعاً قال تعالى ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾[1].

٣ـ أسس مركزاً كبيراً وقلعة من قلاع الإسلام في سوريا فصارت مؤئلاً لطلاب العلم من كل أنحاء العالم العربي والإسلامي، ومقصداً من الجاليات الإسلامية في أمريكا وأوربا وآسيا، مما أسهم في إيضاح الدور الذي تقوم به في بلاده بالتعاون مع حكومته للإسهام الفاعل في نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية وتصحيح النظرة نحو العرب وأهمية دورهم الثقافي في استنهاض

---

(١) سورة البقرة: ٢٨٥.

شعوب العالم الثالث والأمة الإسلامية. واحتوى مركزه على معاهد للدعوة والإرشاد، وكليات للدعوة الإسلامية وكليات للشريعة وأصول الدين، ضمت أعداداً كبيرة من الدعاة والداعيات من جنسيات تزيد عن خمس وثلاثين.

٤ـ شارك في مؤتمرات عالمية، وندوات كبرى في جميع أنحاء العالم لإيصال صوت الإسلام المبني على حب شامل للإنسانية، وأنه الدعوة العالمية لحفظ السلام ونزع فتيل الحروب المدمرة بين الشعوب، وكان الممثل للمسلمين في العديد من هذه المؤتمرات الداعية للسلام ولحفظ البيئة وللإخاء العالمي والتعاون بين الأديان، يحدوه الأمل بالوصول إلى مد الجسور بين الغرب والشرق وبين الشمال والجنوب، واجتمع إلى كبار الساسة في الكرملين، واستطاع إقناعهم بالحد من الضغط على المسلمين، وفتح المساجد التي أغلقت منذ بداية الثورة البلشفيه، وأسهم في إقامة العديد من المدارس الدينية، وأوصل إليهم المصاحف والكتب الدينية بأسلوب حكيم.

٥ـ عمل بجهد العالم، وثبات المخلص على إيجاد القنوات المستمرة بين العالم والحاكم، ودعا المسلمين إلى نبذ العنف، وأطلق وبكل صراحة صيحة إسلامية ضد المنحرفين الذين يتخذون أسلوب القتل والتكفير، ونبه إلى خطورة هذا المنطلق الذي أدى إلى تشويه النظرة العامة للإسلام والمسلمين، ودعا إلى الحوار الهادىء والهادف بين أبناء الشعب الواحد وبين الشعوب. وركّز على نظرية إسلامية في الجهاد تعتمد على تحليل إسلامي قرآني نبوي لإبعاد الفتنة، ولإخماد نار العداوة بين الشعب الواحد وبين الشعوب المختلفة، كل ذلك بوحي من مدرسته الروحية القرآنية النبوية ومن تجربته المديدة ومن واقعية إيجابية رشيدة.

فهو الشيخ الجليل الفقيه المحدث والصوفي السلفي التقدمي المجدد.

وكانت قدراته العقلية، وطاقاته الروحية قد جعلته يتحلى بصفات جليلة

أعانت نزوعه النفسي نحو العمل الدؤوب، فحول الطريقة الصوفية السلبية إلى منهج تربوي إيماني علمي مبرمج.

وهو واحد من عقد هؤلاء الشيوخ الكبار الذين نشأوا في هذا القرن وعرفتهم الأمة العربية والإسلامية، وذاع صيته في كل الأندية الفكرية والمؤتمرات الإسلامية والعالمية.

وفي خاتمة القول نورد ما جاء في كتاب الخيرات الحسان ما نصه لأنه (يستدل على نباهة الرجل بتباين الناس فيه ألا ترى علياً كرم الله وجهه هلك بين فئتين محب أفرط، ومبغض فرط).

وفي تحليل رائع في مقدمة تفسير سورة الكهف، أكد أهمية الكهف في إعداد الفئة المؤمنة، والفتية الذين آمنوا وزادهم الله هدى.

فقال في سياق المقدمة، لربط السورة بما قبلها وهي سورة الإسراء: (فرق شاسع بين الإسراء والمعراج وبين المكوث في الكهف؛ فلماذا جمعا ؟ ولماذا تجاورا ؟.

لأنه لا إسراء ولا معراج إذا لم يكن كهف، ولا خطاب ولا مكالمة ولا قدسية إذا لم يكن كهف وخلوة عن سوى الله عز وجل.

والكهف هو الذي يوجد المعراج، والمعراج يحصل في الصلاة الحقيقية كما جاء في الحديث (الصلاة معراج المؤمن).

فالتربية الروحية هي إحدى المرتكزات الأساسية في تكوين مدرسته الإسلامية الروحية الفكرية القرآنية، ومنطلقه الأساسي عمل الرسول ﷺ وسنته والآيات الموضحة للمعاني الروحية العظيمة. فذكر وفكر وروح وعقل وحكمة وإخلاص وعلم وعمل وقلب ونفس، دنيا وآخرة كل ذلك بأدلة شرعية واضحة لا غبار عليها.

وأكد قول ابن القيم في قوله:

إذا سكـن الغـديـر على صفـاء ... وجنـب أن يحـركـه النسيـم
بـدت فيـه السمـاء بـلا امتراء ... كـذاك الشمـس تبـدو والنجـوم
كـذاك قلـوب أربـاب التجلي ... يـرى في صفـوهـا الله العظيـم

أي يرى صفوها نور الله عز وجل.

* * *

التصوف والجهاد

التصوف والجهاد

الإسلام دين يحوي في جوانبه دوافع متعددة، ويتعامل مع النفوس حسب إمكاناتها وقدراتها؛ ولا يمكن أن يكون كل أفراد المجتمع في حالة نفسية واحدة وأعمالهم متشابهة، ولذا فقد أخذ بالفروق الفردية بين الناس، فمنهم من يصلح للزراعة، ومنهم من يسهم في الصناعة، وآخرون في مجالات العلم وفنون المعرفة؛ ولا شك بأنه دعا الجميع للجهاد، وعدَّ كل عامل مخلص في عمله مجاهداً. وإذا دعا إلى النفير العام فعلى الجميع الإسهام في الجهاد الذي هو التصدي للأعداء.

وإزاء هذا نرى أن علماء التصوف في فترة من حياتهم انغمسوا في لذة روحية وانعزالية كاملة، وانطواء على جماعاتهم، ولم يجاهدوا في جيوش منتظمة.

والمجاهدون تنطوي نفوسهم على عنف صاخب، وقوة شكيمة، وحالة خاصة بهم يستطيعون القتل والهجوم والدفاع. وهنا تباينت النفوس بين صوفي زاهد ومجاهد مقاتل، فاتهم بعض أعداء التصوف الصوفيين في مجانبتهم لمنهج إسلامي هام وهو الجهاد، ولم يدركوا الفروق الفردية عند بني البشر، ولكن المتصفح لحياة الصوفيين الذي أسسوا هذه الرباطات، والتي

زاد عددها على عشرة آلاف رباط، كلها كانت منارات دعوة وتصوف وجهاد، وعندما وصلنا إلى عصر الانحطاط في كل شيء، انحطت الصوفية عن رقيها الإسلامي المتكامل إلى عبادة وأذكار وتلاوة وتهجد ومجاهدات شخصية فقط، حتى جاءت حركات الصوفية المعاصرة فحولت هذه الطاقات الخلاقة للمشاركة في الحياة والتصدي لأعداء الإسلام، وانبرت فئات كثيرة لمقاومة الاستعمار في ليبيا والجزائر وتونس ومصر وبلاد الشام، كلها يحدوها إيمان تربوي صوفي كامل.

وإن الزوايا والمنارات والرباطات التي أسسها علماء التصوف في ليبيا وخرَّجت قوافل الدعاة، كانت مراكز إشعاع روحي وعلمي واجتماعي نذكر منها:

١ـ زاوية الشيخ إبراهيم المحجوب قرب مدينة مصراته، وهي من أقدم الزوايا في برّ طرابلس، كان لها دورها الريادي في تعليم القرآن الكريم، ونشر العلم، كما قادت حركة الجهاد ضد الاحتلال الإيطالي، ومن أبطالها: رمضان السويحلي، وسعدون السويحلي وغيرهم.

٢ـ منارة شهاب الدين أحمد زروق العلمية بمصراته، التي مر على تأسيسها ما يزيد عن أربعة قرون، تقوم بتعليم اللغة العربية، وحفظ القرآن الكريم، والعلوم الشرعية، والتصوف، وخرجت العديد من العلماء؛ أمثال الشيخ الطيب المراني، والشيخ يوسف حسين بادي، والشيخ أحمد الشريف وغيرهم.

ومن مشاهير العلماء الذين كان لهم الأثر في ازدهارها الشيخ رمضان أحمد أبو تركية، والشيخ شمس الدين اللقاني. كما قامت هذه المنارة منذ تأسيسها بتخريج الخطباء والوعاظ والقضاة والمدرسين، ثم كان لها الأثر

الكبير في حركة الجهاد الليبي ضد الطليان، ومن أبطالها رمضان شتيوي السويحلي وغيرهم.

٣ـ العديد من هذه الزوايا والمنارات؛ كزاوية بني وليد، وزاوية الحرابة، وزاوية المنشية، وزاوية ابن شعيب، وزاوية ابن جحا في الخمس، وزاوية غدامس، وزاوية مزدة، وزاوية العمامرة بمسلاته، وزاوية الكلية بغريان، وزاوية القلعة بيفرن، وزاوية بالرحيبات، والمنارات التي بُدىء بترميمها وإعادة بنائها، وكان لها الدور الهام عبر تاريخ طويل. وفيها ما يقارب من ٨٣ خلوة، ومنارة ميزران، ومنارة الدوكالي بمسلاته، كلها أسهمت في النهضة التعليمية، ونشر السلوك الصوفي في الجهاد ضد الاستعمار، وتخرج فيها الكثير من العلماء والدعاة.

وفي عرض موجز على سبيل الاطلاع نجد أن التصوف أدى دوره في نهضة الأمة التعليمية، وأسهم في إعداد الأجيال للمشاركة في خدمة مجتمعه ووطنه، والتصدي لأعدائه، وخوض غمار الحروب جهاداً في سبيل الله والمستضعفين، وإعزازاً لدين الله والمسلمين. وهذا رد عملي على كل المتقولين بأن التصوف فيه بعد عن إسلام الحياة، والمشاركة في آمالها وآلامها، والنهضة المادية الشاملة. ولقد شاهدنا كيف أن الرباطات والزوايا والمنارات كانت تشارك أبناء وطنها في العلم والصناعة والزراعة والجهاد، وغير ذلك من صقل العقول وشحذ الهمم وتزكية النفوس لتستعد للعمل المخلص الدؤوب، والتصوف قوة روحية تسهم في دفع الأمة نحو العزة والمجد والسؤدد.

* * *

المنارات والزوايا والرباطات

المنارات والزوايا والرباطات

الزوايا والرباطات والمنارات عبر التاريخ:

الإسلام دين علم وجهاد وتصوف، وعندما تم فتح البلدان الإسلامية وتوقف الفتح على تخوم الروم، شيدت الرباطات، وهي كما جاء في دائرة المعارف[1]: الرباط زاوية إسلامية محصنة جاءت من الأصل ربط، واعتمد أهل الرباط على نص قرآني في إيجادها، وهو قول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾[2]، وكما أوضحت دائرة المعارف ذلك بقولها: (الرباط منشأة دينية حربية تتصل بنظام الرباط بالجهاد)[1]، والمستقرون في الرباط هم المجاهدون، وتحتوي على أبراج مراقبة، وجنود الحاميات التي في داخل البلاد وعلى حدودها، وتشكلت الرباطات من سور حصين يحيط بها، وتقوم فيه حجر للسكنى، ومخازن للأسلحة والمؤن، وبرج للإشارة. وكان كما ذكر ابن خلكان: (أنه كان في بلاد ما وراء النهر وحدها ما لا يقل عن عشرة آلاف رباط)[3].

إذن انتشرت على تخوم البلاد المجاورة لحدود الأعداء (الدول المجاورة)

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ١٠ ص ١٩.

(٢) سورة الأنفال: ٦٠.

(٣) ابن خلكان، ج ١، ص ١٥٩.

كما انتشرت على الشواطىء، وتمتد على طول شواطىء فلسطين، وإفريقية، والأندلس.

وأنشأت بدوافع دينية وخاصة في إفريقية في أرباض مدن من قبيل طرابلس وصفاقس، وكان إنشاؤها يعدّ من أعمال البر والتقوى، ويحض المرء الذي أقام الرباط الناس للانخراط في سلك هذه الرباطات للجهاد في سبيل الإسلام، وتعزيز حامياتها.

وأول رباط أنشىء في إفريقية هو رباط المنستير؛ شيَّده الوالي العباسي خرثمة بن أعين علم ١٧٩ هـ (٧٩٥ م)، وكان القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) هو العصر الذهبي للرباطات، فقد ضاعفت الأغالبة عدد الرباطات الحقيقية والمحارس، على طول الشواطىء الشرقية، وكذلك اكتسب رباط سوسة الذي أنشأه زيادة الله الأغلبي عام ٣٠٦ هـ (٨٢١ م) شأناً عظيماً. والعديد منها كان خطاً دفاعياً أولياً لصد غارات قراصنة الشمال. والمرابطون رجال متطوعون من أهل التقوى والورع، نذروا أنفسهم للدفاع عن الإسلام، وكان الدافع القوي لهذا العمل هو حديث رسول الله ﷺ: «رباط يوم في سبيل الله يعدل عبادة شهر أو سنةٍ صيامها وقيامها، ومن مات مرابطاً في سبيل الله أعاذه الله من عذاب القبر، وأجرى له أجر رباطه ما قامت الدنيا»[1].

وجاءت أحاديث كثيرة تحض على الرباط، حتى كان العديد من العلماء يرابطون سنة ويحجون سنة، ومنهم العلامة الكبير عبد الله بن المبارك، وغيره كثير ممن ذكروا في حياة الصحابة.

ويعد الرباط زاوية دينية وتكية يلتحق فيها الكثير، ويمضون حياتهم

---

(١) عن عبادة بن الصامت صحيحاً في الجامع الصغير ص ٣٥.

بالذكر والتلاوة والعبادات والتدريب العسكري والحراسة، كما يعدون أنفسهم للاستشهاد بتزكية نفوسهم. ومجاهدات صوفية تحت إرشاد شيخ من الشيوخ قد تسمى الزاوية والتكية باسمه.

وتحولت رباطات الشرق بعد أن انتهى تهديد الأعداء لها إلى حياة خاصة ملؤها الزهد والتقشف والصلوات والأذكار، إثر تطور التصوف، فصارت هذه الرباطات زوايا صوفية، ومنها رباط رأس العين في شمال صحراء بلاد الشام الذي أنشأه رجال التصوف مركزاً لطرقهم الخاصة، وكذلك الرباطات الأربعة القائمة في مدينة حلب، والتي ألحقت بها مدرسة وقراء وصوفيون، كما ذكرها ابن بطوطة في كتابه. وكذلك كان رباطان في القاهرة ومكة.

ولكن ابن مرزوق يفرق بين الرباط والزاوية، فيقول: (إن الرباط في مصطلح الفقراء هو الانقطاع للجهاد وحماية الثغور)[1]. ثم تطورت فصارت رباطات العباد، ومنها الرباط الذي أقيم بقرب تلسمان حول ضريح الصوفي الشهير سيدي بومدين (وتطور عبر السنين معنى المرابط إلى مدلول صوفي، وأخذه الولاية الصوفية من غيره)[2]. حتى صار هذا المعنى يدل على صومعة يعتزل فيها رجل من الصالحين يعيش محاطاً بأتباعه ومريديه[3].

وأما الزاوية (فهي طائفة من الأبنية ذات طابع ديني)[4] وتتكون من غرفة للصلاة بها محراب وضريح لأحد المرابطين، أو ولي من الأشراف، تعلوه قبة وغرفة قصرت على تلاوة القرآن، ومكتبة، ومدرسة لتحفيظ

---

(١) دائرة المعارف ص ٢٣.
(٢) دائرة المعارف ص ٢٤.
(٣) انظر المعضد للباديسي ص ٢٤٠.
(٤) دائرة المعارف الإسلامية ص ٣٣٢.

القرآن. ثم غرف مخصصة للضيوف والحجاج والمسافرين والطلبة، وبالخلاصة الزاوية كما يعرفها دوماس هي: مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة[1].

ومن الزوايا الكبرى التي أقيمت: زاوية ابن مرزوق التلمساني، وكانت مراكز دعوة تستهوي قلوب الناس، ومدارس دينية لتحفيظ القرآن وتعليم اللغة والتصوف، وكان لهذه الزوايا دورها الكبير اجتماعياً ودينياً وسياسياً، وهي التي أسهمت في إيقاظ الهمم، وتوعية الناس، وتربيتهم التربية الصوفية الإيمانية الصحيحة.

وهي التي حافظت على استمرار جذوة الإيمان في النفوس، وخرجت أجيالاً من الدعاة والعلماء والحفاظ الذين كان لهم الفضل في نشر الدعوة في إفريقية وفي العديد من بلاد العالم الإسلامي.

أهمية الرباطات والزوايا والمنارات في تربية الأجيال:

الناس يعيشون في وسط حاشد بالمشاغل المستمرة، وكثير منهم لديه فراغ كبير لا يدري أين يقضي وقت فراغه بعد الانتهاء من العمل الشاق المضني. وأهمية هذه المراكز الإسلامية يتمركز في إشغال وقت فراغ هذه الأجيال، فلو وجدت نخبة من العلماء ورجال التصوف؛ الذين يحملون في أعماقهم جذوة الإخلاص وعمق الإيمان، وعلماً غزيراً، وفهماً تربوياً سليماً، لاستطاعوا استقطاب هذه الأجيال بإيجاد البرامج التربوية والترفيهية، والتدريب الرياضي والمسابقات الفكرية والثقافية والعلمية، ضمن هذه المراكز، مع الإعداد التربوي الإسلامي القرآني النبوي السليم،

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ص ٣٣٢.

وذلك للحفاظ على هذه الأجيال من التخبط برفقة أصدقاء سوء أو تجمعات فكرية إسلامية عاطفية منحرفة، يقودها رجال وشباب يحبون الإسلام ولا يعرفون حقائقه، ولا يفهمون مقاصده، قد استحوذ عليهم الشيطان عن طريق استقطابهم ضمن جماعات دينية منحرفة مزيفة ذات مقاصد ملتوية وتخبطات فكرية، ومدراسات زائفة، وهذا يجري في العديد من أقطار العالم الإسلامي.

فدور هذه المنارات الإسلامية دور خطير وهام إذا نظمت برامجها، ونفذت خططها لتعطي أثراً تربوياً إسلامياً فقهياً وصوفياً وسلوكاً مستقيماً.

وإن إعادة الاهتمام بهذه المنارات من قبل الجماهيرية في هذه الأيام ليدل دلالة واعية على عودة مبرمجة للصحوة الإسلامية وترشيدها لتؤدي دورها الإيجابي في الحياة الإسلامية بوعي وفهم وإدراك وإخلاص عميق.

دور المنارات والزوايا والرباطات عبر تاريخ شمال إفريقية:

إن اليقظة الإسلامية في ليبيا في القرن الماضي أدت إلى انتشار ما يزيد عن ٩٧ زاوية، و ١٧ زاوية في السنغال، وفي الكاميرون وكانم وبوركو والنيجر الأدنى وبرنو والكونغو والدامو والداهومي، وحول بحيرة تشاد. وقام الصوفيون بإنشاء هذه الزوايا وكانت بمنزلة مؤسسات حكومية كاملة تقوم على طريقة صوفية، وفيها مسجد وبيوت للضيوف، ومخازن للمؤن، وإصطبل للخيول، ومتجر وفرن وسوق، ويتبعها أرض زراعية خاصة، وآبار جوفية، وصهاريج لحفظ المياه. وفيها يتعلم الصغار اللغة العربية والفقه والحديث والتصوف.

وقد تناثرت في الصحراء، وكان العمل الجماعي هو الصفة البارزة لهذه الزوايا، كما يتدربون فيها على الفروسية واستخدام السلاح، وفنون الحرب والقتال.

ولقد أيقظت هذه الزوايا عبر القرن الماضي حركة دينية واعية، وتدفقوا نحو إفريقية ونشروا الإسلام، كما أقاموا ممالك ودولاً وسلطنات، منها سلطنة رابح وأحمد وساموري[1]. ولقد كان أتباع هذه الزوايا الليبيون هم كتيبة الصدام العربية الإسلامية التي تصدت في شمال إفريقية وقلبها للزحف الاستعماري الأوربي الجديد[2]، وبهذا وظفوا الطريقة الصوفية للجهاد بكل أنواعه: العلمي والاجتماعي والعسكري، ولقد ذهبوا عبر القرى والصحراء ولسانهم يلهج بذكر الله والصلاة على النَّبي ﷺ، وسماهم الاستعمار الدراويش، واستقبلوا في كل صقع بـ الاستقبال الحار، وأحسنت وفادتهم، وأكرم مثواهم. وتعد هذه الزوايا مراكز إشعاع تربوي وعلمي واجتماعي رائدة، وحركة من حركات اليقظة العربية الإسلامية الأولى.

ولقد أسهموا في نشر اللغة العربية مع الإسلام عبر القارة الإفريقية التي وصلوا إليها، وكذلك تصدوا للخلافة العثمانية عندما وجدوا الضعف والهزال والتفريط منهم بمصالح العرب والمسلمين، وكانت تعاليم هذه الزوايا تتسم بالسلفية المعتدلة والتصوف الشرعي، وبفتح باب الاجتهاد ورفض دعوى إغلاقه، وبالجهاد وتربية المريدين والأنصار على الفروسية وأدوات الحرب، والعمل على نشر تعاليم الإسلام لكل الطلاب المتخرجين من هذه المنارات الإسلامية، وأسهمت إسهاماً واضحاً في رد كيد المستعمرين، وحاربتهم عبر كل زواياها.

وممن خرج من هذه الزوايا سيد الشهداء عمر المختار طيب الله ثراه.

---

(١) حاضر العالم الإسلامي، ج ٢، ص ٤٠٠.
(٢) العرب والتحدي ص ١٥٧.

وبذا يكون التصوف الواعي المدروس قد خرج من لباس الهوان إلى عزة المجاهد العامل والمزارع والصانع والمتعلم.

فاستطاع علماء وقادة وشيوخ هذه الزوايا أن يسهموا إسهاماً واضحاً في المد الإسلامي. وكانت ليبيا مركز إشعاع في القرن الماضي، وهاهي تعود لتحمل مشعل الدعوة الإسلامية الروحية والعلمية والصوفية عبر مناراتها التي أعيد بناؤها، وفتحت أبوابها من جديد للأجيال، لتعيد مجد الآباء بقيادة الأحفاد.

إنها منارات علم وهداية ونور وعرفان، لتربي أجيال الفاتح بإيمان روحي عميق، وعلم شرعي مبني على الكتاب والسنة الصحيحية.

وفي ذكر رجالات التصوف وأخلاقهم دعوة رائدة لإحياء تراث الأجداد، لبناء المستقبل العربي الإسلامي المعاصر.

* * *

خاتمة البحث

الحقيقة التي فصلت في هذا البحث مآلها أن هذه الشريعة العظيمة متكاملة العطاء، غنية المحتوى، بعيدة الأهداف، قوية البناء لإعطاء الدور الإنساني جميع متطلباته المادية والروحية.

ولا يمكن لنا أن ننسى الجهد الذي عمل له كبار علماء الإسلام في استنباط الجانب الروحي العظيم في المعاني القرآنية، وبذا تكامل العطاء بعد أن جاهد العلماء لإيجاد الجوانب الفكرية والمادية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية في عمق المباشرة بين السماء والأرض، وعناية البعض بالجوانب المادية دون الوصول إلى الأهداف والغايات الكبرى كانت تعد نقصاً كبيراً في تكامل الفقه الإسلامي.

وعندما نما الفقه الروحي والتزكية عند العلماء الروحيين ظهرت الشريعة الإسلامية واضحة بينة، ولا نستطيع إلا أن نؤكد الحقيقة الكاملة بأن الإسلام كل لا يتجزأ والعناية بالناحية الروحية والتزكية والصفاء هو تصوف وإنما هو الجزء الروحي الهام في عقيدتنا الإسلامية العظيمة. وقد أسهم هؤلاء العلماء في بناء الشخصية الإسلامية ودأبوا على تكاملها سلوكياً وفكرياً وحضارياً، ولم تتكامل الناحية السلوكية إلا بالتزكية الروحية.

فلندع الأسماء والألقاب ولنعد إلى القرآن ففيه الحقيقة المطلقة، وقد بيّنا في فصول الكتاب اهتمام القرآن بكل ذلك تفصيلاً؛ وجمعنا الكثير من آيات وأحاديث فصلت القول بشكل جلي أهمية الروح وطرق صفائها.

وهذه الحقائق المتناثرة في إسلامنا أغمض عنها الكثير من العلماء، وجرى جدال وحوار وصراع بين فقهاء الظاهر وفقهاء الباطن، ولا يزال هذا الصراع محتدماً وسيستمر حتى تنجلي الغشاوة عن أعين طمست بالتعصب، وآذان أصمها إعجابها بآرائها، وعقول تبلدت بجمود التقليد دون تحرر للوصول إلى الحق أينما وجد، وحيثما كان. كما أدعو إلى طرح هذا الصراع الجانبي ولنعمل لرص الصفوف في تحقيق كليات الإسلام الكبرى ولنعذر بعضنا فيما اختلفنا فيه ولنعد إلى كلمة سواء، لنطوي ملف الصراع الدائر بين المفكرين المسلمين والعلماء.

فالصوفية والسلفية غايتهما واحدة وهي بلوغ حقيقة العبودية، وكل مجتهد له أجران إن أصاب وأجر إن أخطأ، وهؤلاء العلماء هم مجتهدون في استنباط الطرق والوسائل المساعدة لبلوغ نهاية العبودية.

وقد أمرنا الله تعالى بالحوار الهادىء المتزن مع أعداء الإسلام فما هو واجبنا تجاه بعضنا البعض. لذا لا بد لنا من حوار هادىء بالمعروف.

وقال رسول الله ﷺ «من كان آمراً بالمعروف فليكن أمره بالمعروف» وجزى الله المربي الشيخ خيراً فقد عمل على صقل العقول وصفاء القلوب لتحقيق هذه المعاني الإسلامية السامية ليجمع الصف ويوحد الكلمة، تحت إطار الغايات الكبرى لإسلامنا العظيم دون جدال أو محاورة عقيمة. فإلى العمل الإسلامي المنتج وإلى جمع الكلمة، وتوحيد الهدف بالإخلاص لله تعالى وبتحقيق مقام الإحسان فلنعمل جميعاً والله ولي التوفيق.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[1]. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة الأنفال: ٢٤.

المصادر والمراجع

١ـ القرآن الكريم
٢ـ البخاري ومسلم
٣ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن
٤ـ تفسير القرطبي
٥ـ اللمع للطوسي
٦ـ ربانية لا رهبانية للندوي
٧ـ قوت القلوب لأبي طالب المكي
٨ـ ميزان العمل للغزالي
٩ـ اصطلاحات الصوفية للقاشاني
١٠ـ لطائف الإشارات للقشيري
١١ـ الرسالة القشيرية للقشيري
١٢ـ الإبريز للدباغ
١٣ـ الصوفية والفقراء لابن تيمية
١٤ـ ظاهرة الغلو في الدين محمد عبد الحكيم حامد
١٥ـ المنقذ من الضلال للغزالي، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود
١٦ـ التصوف الإسلامي للدكتور زكي مبارك
١٧ـ تحديد التفكير الديني في الإسلام، للشاعر محمد إقبال

١٨ـ الأخلاق عند الغزالي، للدكتور زكي مبارك
١٩ـ التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي
٢٠ـ المقدمة لابن خلدون
٢١ـ الحياة الروحية في الإسلام، د. محمد مصطفى حلمي
٢٢ـ مشكاة الأنوار للغزالي
٢٣ـ طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شربية، ط: القاهرة ١٩٥٣
٢٤ـ شطحات الصوفية. د. عبد الرحمن بدوي
٢٥ـ في التصوف الإسلامي وتاريخه، نيكلسون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٩
٢٦ـ التصوف في الميزان، د. مصطفى علوش، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر، القاهرة
٢٧ـ نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، د. علي سامي النشار
٢٨ـ منازل السائرين للهروي، البابي الحلبي
٢٩ـ مدخل إلى التصوف الإسلامي، د. أبو الوفا التفتازاني، دار الثقافة، القاهرة
٣٠ـ تاريخ التصوف في الإسلام، د. قاسم غني، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٢
٣١ـ الرعاية لحقوق الله للمحاسبي
٣٢ـ عوارف المعارف للسهروردي
٣٣ـ إتحاف السادة المتقين للزبيدي
٣٤ـ الفلسفة الصوفية في الإسلام، د. عبد القادر محمود
٣٥ـ الحقيقة عند الغزالي، د. سليمان الدنيا
٣٦ـ دراسات في التصوف الإسلامي، د. محمد جلال شرف، دار النهضة العربية، لبنان
٣٧ـ طبقات الصوفية للسلمي

٣٨ـ طبقات الأولياء لابن ملقن
٣٩ـ التصوف والطريق إليه، د. عبد الرزاق نوفل
٤٠ـ نشر المحاسن العلية في فضل المشايخ الصوفية لليافعي
٤١ـ ردود على شبهات السلفية، محمد نوري النقشبندي
٤٢ـ كتاب التمكين في شرح منازل السائرين، محمود أبو الفيض المنوفي
٤٣ـ مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب للغزالي
٤٥ـ فلاسفة الإسلام، د. فتح الله خليفة، دار الكتب العلمية
٤٦ـ جامع كرامات الأولياء للنبهاني
٤٧ـ معراج التشوف لابن عجيبة
٤٨ـ كفاية المعتقد لليافعي
٤٩ـ الدعوة إلى الإسلام توماس أرنولد
٥٠ـ الصوفية والمتصوفون، د. عبد الكريم الخطيب
٥١ـ المعجم الصوفي، د. سعاد الحكيم
٥٢ـ فلسفة التصوف، هاني يحيى خيري
٥٣ـ الطريقة النقشبندية وأعلامها، د. محمد أحمد درنيقة
٥٤ـ لطائف المنن لابن عطاء السكندري
٥٥ـ التعريفات للجرجاني
٥٦ـ المثنوي لجلال الدين الرومي، العصرية، لبنان ١٩٦٦
٥٧ـ مختصر مدارج السالكين، دار قتيبة
٥٨ـ مجموعة فتاوي ابن تيمية
٥٩ـ نقض المنطق لابن تيمية
٦٠ـ الوابل الصيب عن الكلم الطيب
٦١ـ معارج القدس في مدراج معرفة النفس للغزالي، مكتبة الجندي ١٩٦٨ القاهرة
٦٢ـ كشف الخفا ومزيل الإلباس للعجلوني

٦٣ـ السيرة النبوية لابن هشام، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة ١٩٥٥
٦٤ـ مرآة الجنان لليافعي
٦٥ـ نتائج الأفكار القدسية
٦٦ـ طبقات الشعراني
٦٧ـ حاضر العالم الإسلامي، الأمير شكيب أرسلان
٦٨ـ العرب والتحدي، د. محمد عمارة
٦٩ـ التصوف في الإسلام، د. عمر فروخ
٧٠ـ دائرة المعارف الإسلامية
٧١ـ دائرة القرن العشرين، محمد فريد وجدي
٧٢ـ تاريخ الإسلام السياسي، د. حسن إبراهيم حسن
٧٣ـ علم القلوب أبو طالب المكي
٧٤ـ حلية الأولياء أبو نعيم الأصفهاني، دار الكتاب العربي، بيروت
٧٥ـ مدارج السالكين لابن القيم.
٧٦ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للأشكري
٧٧ـ وفيات الأعيان لابن خلكان
٧٨ـ إحياء علوم الدين للغزالي
٧٩ـ ابن تيمية والتصوف، د. مصطفى حلمي
٨٠ـ الجامع الصغير للسيوطي
٨١ـ جامع الأصول في الأولياء للكمشخانلي
٨٢ـ منهاج العابدين للغزالي
٨٣ـ الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، عبد الرحمن عبد الخالق
٨٤ـ الله القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد لابن عطا السكندري، دار قتيبة، دمشق
٨٥ـ العارف بالله، غازي عرابي، دار قتيبة، دمشق
٨٦ـ المصطلحات الصوفية، غازي عرابي، دار قتيبة، دمشق.